استشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا رسول
الله هولاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم الفدية
فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا
لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب
قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكني ارى ان تمكني من فلان قريب
لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة
من فلان اخيه يضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا موادة
للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو
ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني
ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد تباكيت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من الفدا لقد عرض علي
عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له
اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى
يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزاد ذنب للنبي
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين ساير الانبيا عليهم
السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم
تحل لنبي قبلي **واما قوله** تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد
ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها قد نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل
لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنايم **وقيل** لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا **وقيل** بل كان عليه السلام قد خير في ذلك
وقد روي عن علي قال جا جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم بدر

يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاووا القتل وان شاووا الفدا
على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل على
انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
قال القاضي بكر بن العلا اخبر الله تعالى نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق
ما كتب له من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادا في سرية عبد الله
ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي الحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب
الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي
صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد تعظيم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم واظهار نعمته وتاكيد منته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح
المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب او انكار او تذنيب قاله القاضي عياض
واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية فالمعنى لولا ان ثبتناك
لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعتك ان
تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم
باجابتهم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل
هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير اخطر وقد اعاذه الله تعالى من الركون
الى اعدايه بذرة من قلبه ومما يعزى للحريري مما يويد ذلك قوله

اخوي هذا العصر ما هي لفظة ۔ جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ۔ وان اثبتت قامت مقام جحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا
والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله
عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن **واما قوله تعالى** ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشي من عند
نفسه لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من
التقول عليه **فان قلت** لا مرية انه يخفى للمحب ولصاحب الحاسن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1